رعاية الأولويات للعمل الدعوي في أوساط الطلاب الجامعيين في باكستان (دراسة وصفية)

Priorities for Da'wah work among university students in Pakistan: A Descriptive study

حافظ عبد المنان زاهدي[1]
الدكتورعبد القادرهارون[2]

Abstract

Youth is the main and potential power of a nation, so every nation that wants to rise must properly prepare the youth. Keeping in view the importance of youth Islam has paid much more attention to this category of society. Many verses of holy Qur'ān and *Aḥādīth* of Prophet describe status and importance of youth in a society. In this regard it is much important to educate the youth in such a way that they may be able to lead next generation of the nation. University level has a vital role in educating youth, as the university has an important role in building the personality of the student, and it has a great responsibility to protect students from intellectual and cultural invasion by providing them with moral standards and higher values.

In light of the above facts Da'wah work among university level students requires command on the relevant subjects and knowledge based wisdom to educate the youth in proper way. Moreover it is necessary for a Da'wah worker to be well aware of "jurisprudence of priorities" (فقه الأولويات), as it is much important for a Da'wah worker to find the better opportunity for Da'wah .

In this article the authors tried to highlight the importance of priorities and their consideration in Da'wah work among university students in Pakistan. Moreover Concept, importance, Controls and Parameters of this art in light of Islamic literature and negative impact caused by negligence of this art is also part of this research article.

Keywords: *University Students, Da'wah, Youth, Da'wah Priorities, Jurisprudence of Priorities*

[1] محاضر، أكاديمية الدعوة، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد

[2] أستاذ مساعد، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد

الملخص:

إن الشباب في أمة يمثلون ثروتها الحقيقية وهم عماد نهضتها وسر قوتها، فلا بد لكل أمة تريد النهوض أن تقوم بإعداد الشباب إعداداً سليماً، ولقد اهتم الإسلام بهذه الفئة اهتماماً لا يرى في حضارة أخرى، ونجد في القرآن والسنة نصوصاً كثيرة تدل على مكانة الشباب وفضلهم وعظم قدرهم، والمرحلة الجامعية في حياة الشباب من أروع مراحل الحياة وأكثرها أهمية، كما أن للجامعة دوراً مهماً في بناء شخصية الطالب، وتقع عليها مسؤولية لحماية الطلاب الجامعيين من الغزو الفكري والثقافي من خلال تزويدهم بالمعايير الأخلاقية والقيم العليا.

وبناءاً على ما سبق فإن العمل الدعوي والتربوي في أوساط الطلاب الجامعيين يحتاج إلى قدرات وإمكانات وفقه دقيق، أساسه العلم والتقوى، ويتوقف نجاح الدعاة العاملين على دقة فهمهم وبصيرتهم بحقيقة الدين، حتى يدعو على بصيرة، ويعرف ما وبما ذا وكيف ومتى يدعو، وهذا النوع من الفقه يسمى فقه الأولويات.

ولقد حاول الباحثان في هذا البحث إبراز أهمية فقه الأولويات ورعايتها في العمل الدعوي في أوساط الطلاب الجامعيين في باكستان، حيث أتى بمفهومه وأهميته وتأصيله بالنصوص الشرعية، وما يترتب على غياب هذا الفقه من آثار سلبية على الدعوة مع بيان معالم وضوابط للأولويات الدعوية للدعوة في الجامعات.

الكلمات المفتاحية: الطلاب الجامعين، الدعوة، الشباب، الأولويات الدعوية، فقه الأولويات

المبحث الأول: مفهوم فقه الأولويات وحاجة الداعية إلى معرفته

قبل أن ندخل في بيان ضوابط ومعالم فقه الأولويات الدعوية في أوساط الطلاب الجامعيين يجدر بنا أن نعرف مفهومه ومظاهره من حياة الأنبياء والرسل عليهم السلام وحاجة الدعاة في العصر الحاضر إلى هذا النوع من الفقه، وذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: مفهوم فقه الأولويات

إن لفقه الأولويات في الدعوة تعريفات عديدة، منها: "فهم الداعية الدقيق وإدراكه السليم لترتيب الأمور المتعلقة بالدعوة إلى الله ليقدم ما حقه التقديم ويؤخر ما حقه التأخير في قضايا الدعوة ووسائلها وأساليبها"[1].

أو: "هو العلم بالأحكام الشرعية التي لها حق التقديم على غيرها بناء على العلم بمراتبها وبالواقع الذي يتطلبها"[2]، أو: "هو فقه وعلم ما يتعلق بالدعوة إلى الله تعالى، وترتيب أمورها، فيما يجب أن يقدم أو يؤخر حسب أركان الدعوة: الداعية والمدعو وموضوع الدعوة والوسيلة والأسلوب، ويكون هذا الترتيب وفق الضوابط الشرعية المستمدة من كتاب الله عز وجل وسنة نبينا محمد ﷺ"[3].

وجميع هذه التعريفات لفقه الأولويات تكمل بعضها بعضاً حيث إنه علم يتعلق بإدراك الداعية وفهمه وبصيرته لترتيب الأمور الدعوية حسب حاجة دعوية.

المطلب الثاني: فقه الأولويات في مناهج الأنبياء الدعوية

إن الأنبياء عليهم السلام أدركوا هذا الفقه بجميع تفاصيله على وجه الكمال، فإن أول أولويات جميع الأنبياء التي بدؤا بها أقواهم كان الدعوة للتوحيد، "فكل الرسل الذين من قبل محمد ﷺ مع كتبهم زبدة رسالتهم وأصلها: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له وبيان أنه الإله الحق المعبود وأن عبادة ما سواه باطلة"[4].

وبعد الدعوة إلى التوحيد كانت الأولوية لما يحتاجه أقوامهم، وهذا يختلف من قوم لآخرين ومن نبي لنبي آخر، كان دعوة إبراهيم عليه السلام إلى التوحيد هو القضية الأولى والثانية بسبب تفشي الوثنية في مجتمعه، وكان دعوة شعيب عليه السلام بعد التوحيد الدعوة إلى العدل والقسطاس والمنع من التطفيف والنهي عن الغش في الكيل والميزان، وكان دعوة هود عليه السلام بعد التوحيد تحذيرهم عن الجبروت والبطش والظلم.

ولوط عليه السلام بعد أن دعا قومه إلى التوحيد وإلى عبادة الله حذرهم من فاحشة اللواط بالذكور، وكان استعادة كرامة بني إسرائيل بعد الذل والاستضعاف أولى أولويات موسى عليه السلام بعد الدعوة إلى التوحيد، وكان جهد عيسى عليه السلام بعد التوحيد لإرجاع القوم إلى جادة الاعتدال حيث إنهم بالغوا في منزلته وتجاوزوا الحد ورفعوه فوق مكانته فجعلوه ابناً لله أو ثالث ثلاثة أو هو الله[5].

---

(1) فقه الأولويات الدعوية، دراسة تأصيلية تحليلية، ص/44، إعداد: علي بن محمد عبد الله الطالب الأمين الشنقيطي، رسالة دكتوراه غير منشورة، تخصص الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العام: 1428-1429م

(2) فقه الأولويات، دراسة في الضوابط، ص/16، محمد الوكيلي، المعهد العالي للفكر الإسلامي، فيرجينيا-الولايت المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى 1997م

(3) فقه الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى، ص/8، إعداد: الدكتورة الجوهرة بنت صالح الطريفي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العام الجامعي: 1433هـ، راجع أيضاً: في فقه الأولويات، دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، ص/9، الدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة-مصر، الطبعة الثانية، 1996م

(4) تفسير السعدي، ص/521

(5) فقه الأولويات الدعوية، الشنقيطي، ص/112 وما بعدها، راجع أيضاً: فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشريعة الإسلامية، ص/39،

لقد تبين مما سبق أن الأنبياء عليهم السلام كانوا على علم ومعرفة بحاجات أقوامهم، فبدأوا بعد الدعوة إلى التوحيد والدخول في الإسلام بإصلاح ومعالجة القضايا التي كانت تفشت بين أقوامهم وهي تختلف من قوم إلى قوم، فإن الأنبياء عليهم السلام خير قدوة ومثال للدعاة اليوم في أن يحذوا بحذوهم في معالجة المشاكل وإصلاح المجتمعات.

المطلب الثالث: أهمية فقه الأولويات في الدعوة

قد أصبح فقه الأولويات في الدعوة ضرورة شرعية وحاجة فطرية لا يستغني عنه كل من يعمل في مجال الدعوة إلى الله تعالى، فإن العصر الحاضر يتسم بالتقدم العلمي والتقني، فتوسعت المناشط والبرامج، واستجدت الوسائل والأساليب، وفي المقابل نجد ضيق الوقت وقلة الدعاة وتنوع المدعوين وتعدد احتياجاتهم، فلأن يتعاطى الداعية مع هذه المتغيرات ينبغي أن يدرك أهمية فقه الأولويات ليتمكن به أن يعيش الواقع المعاصر بكل تحدياته ويبحث عن الأفضل من الوسائل والأساليب والبرامج والأنشطة الدعوية[1].

ومما يدل على أهمية وضرورة معرفة هذا الفقه اختلال الموازين في حياة الناس اليوم، حيث نرى أنهم يكبرون الأمور الصغيرة ويصغرون الكبيرة، ويعظمون الهين ويهونون العظيم، ونلمس مظاهرها لا في ميادين الحياة العادية فقط بل وفي المسائل الدينية والتكاليف العبادية أيضاً، وحتى الخلط في أولويات أركان الإسلام باهتمامهم ببعضها أكثر من بعض والإفراط والتفريط في الأداء بها، كل ذلك يجعلنا في أمس الحاجة إلى دراسة هذا العلم والعناية به لتذكير الناسي وتعليم الجاهل.

كما أن ما يدل على أهمية فقه الأولويات ما يترتب على غيابه مفاسد كثيرة، واضطراب في الأعمال والبرامج الدعوية على جميع المستويات؛ الفردية والمؤسسية، وتتجلى آثار غيابه السلبية فيما يلي:

1. استهلاك لكثير من الطاقات البشرية والموارد المادية في أمور غيرها أولى منها، وينتج عن هذا إهدار للأوقات وإضاعة للجهود[2].
2. اختلاف الدعاة والمؤسسات الإسلامية في تحديد الأولويات يضعف مناشطها ويقلل من ثمرة أعمالها، ويجعلها تسير في طرق متباينة متباعدة[3].
3. الاستغراق بالجزئيات والتفاصيل والانشغال عن الكليات والعجز عن رد الجزئيات إلى الكليات والفروع إلى الأصول وفهم العلاقة الدقيقة بينها[4].
4. ضعف رسالة الدعوة الإسلامية في بعض مجالاتها؛ فتجد كثيراً من وسع الله عليهم في الرزق لا يكادون يجعلون إسهامهم في العمل الدعوي، ومصارف صدقاتم ووصاياهم وأوقافهم إلا في مجالات محددة، مع أن هناك مجالات أولى منها وأنفع للمسلمين ولدينهم.
5. العزوف عن الأخذ بالأسباب، فإن "من يتجاوز الأولويات قد يتجاوز الواقع كله إذا كان مراً، ويهرب من مضايقاته

الدكتور عبد السلام عيادة علي الكربولي، دار طيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، الطبعة الأولى 2008م

(1) فقه الأولويات الدعوية، الشنقيطي، ص/49، راجع أيضاً: فقه الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى، الطريفي، ص/9، فقه الأولويات في الإسلام وتطبيقاته التربوية في تحقيق التنمية البشرية، ص/153، الدكتور صالح ذياب هندي-السيدة خولة على صالح، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، الأردن، المجلد: 8، العدد: 3، 2012م، فقه الأولويات، ص/11، الدكتور محمد ياسر المسدي، الناشر: رابطة العلماء السوريين، الطبعة الأولى 2014م

(2) الأولويات وضوابط تحديدها، ص/24، الدكتور عادل محمد السليم، مجلة البيان، العدد: 177، جمادى الأولى 1423هـ

(3) المرجع السابق نفسه

(4) تقديم لكتاب: فقه الأولويات، للوكيلي، تقديم: الدكتور طه جابر العلواني، ص/ت

إلى الخيال ليرسم لنفسه من خلال الخيال الصورة المرغوبة أو المناسبة، وقد يهرب إلى الماضي ويتجاوز الحاضر والمستقبل والواقع للغرض نفسه[1].

6. من يتجاوز الأولويات كثيراً ما يفقد الموازين الدقيقة لما يأخذ ولما يدع ويعمد إلى التعميم، وإيقاف المعايير، والانحياز دون مبرر إلى الذات أو إلى الفئة أو الحزب أو سواها[2].

المبحث الثاني: أهمية رعاية الأولويات في التخطيط في ضوء السيرة النبوية

إن عقيدة التوحيد قطب رحى الرسالة المحمدية وبها بدأ الرسول ﷺ دعوته وظل يدعو إليه طول مدة رسالته من بعثته إلى أن اختاره ربه إلى الرفيق الأعلى، ومما يدل على أهمية التوحيد في الرسالة المحمدية أن غالب السور المكية التي نزلت على الرسول ﷺ كلها في قضايا التوحيد، ولم تنزل الأحكام إلا بعد أن رسخت عقيدة التوحيد في النفوس لمدار صحتها على صحة التوحيد.

يقول الشيخ محمد الغزالي: "وسور القرآن الذي نزل بمكة بين العقائد والأعمال التي كلف الله بها عباده وأوصى رسوله أن يتعهد قيامها ونماءها، وهي: الوحدانية المطلقة، والدار الآخرة، وتزكية النفس، وخفظ كيان الجماعة المسلمة"[3].

وبعد ما أوتي ﷺ من نبوة أمِرَ بالقيام بعمل عظيم يستدعي اليقظة والتشمير والفقه والبصيرة والذي لا يتحقق إلا إذا كانت البداية مدروسة لأن كل ما بعدها سوف يبني عليها، وهذا هو عين فقه الأولويات الذي مارسه ﷺ في دعوته[4].

فإنه ﷺ جعل دعوتها في مراحل وكل واحدة منها أساس لما بعدها ومقدمة للتالية، فإن البداية كانت بالمرحلة السرية التي استمرت ثلاث سنوات، فأدرك في هذه المرحلة غربة الدين وأتباعه وعناد الخصم، فبمقتضى فقه الأولويات في هذه المرحلة قدّم حفظ النفس على الظهور بالدين إلى أن يدخل الإيمان في قلوب المسلمين[5] ويشتد عودهم لمواجهة الصدمات، ومن ثم لا مانع من الجهر بالدعوة، كالطفل الذي يحتاج في مرحلة نعومة أظفاره للرعاية والاهتمام حتى يشتد ساعده ويتمكن من تحمل التكاليف والمسؤليات، وهذه المرحلة تتسم بحفظ الدعوة وحمايتها حتى يكثر الأنصار وحتى لا يقدم الخصم على القضاء عليها.

ثم تتابعت المراحل حتى وصلت الدعوة إلى مرحلة الظهور والعلنة، فأمر بالصدع بالدعوة والجهر بها وتبليغها علانية واستمرت إلى وقت الهجرة، وبهذا الصدع ابتدأت أولوية جديدة وهي مرحلة الصدام والصراع بين الحق والباطل وأصبحت أولوية هذه المرحلة الجهر بالدين والإعلان عن الدعوة، فبالنتيجة دخل الناس في دين الله أفواجاً، وانتشر الإسلام ودخل في كل بيت مكة[6]، وكانت هذه المرحلة من أشد المراحل التي اشتد فيها وطأة الكفار على المسلمين إلى أن دخلت الدعوة في مرحلة جديدة، وقدر الله لهم طريقاً للهجرة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة المنورة.

ومما يدل على فقه الأولويات بالنسبة لدعوة الأفراد تقديمه ﷺ البعض على البعض الآخرين، حيث بدأ الدعوة

(1) المرجع السابق، ص/خ

(2) المرجع السابق، ص/ت

(3) فقه السيرة، ص/97، محمد الغزالي، مع تخريج العلامة الألباني لأحاديث الكتاب، دار الكتب الحديثة، الطبعة السادسة 1965م

(4) فقه السيرة، الغزالي، ص/94

(5) فقه الأولويات في ظلال المقاصد الشريعة، ص/145

(6) السيرة النبوية، ابن هشام، 262/1

بأقربهم[1]، فكان أول وجه له الدعوة هم أهل بيته وفي مقدمتهم زوجته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم على الأقرب من الأصدقاء وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، ثم وسع دعوته لتشمل بقية أهله وقرابته من عمومته وأبناء عشيرته من بني هاشم، ثم دعا قومه الأول فالأول والأقرب فالأقرب من بطون قريش، ثم بعد ذلك هيأ الله له ملاقاة وفد من يثرب قادماً لأداء الحج لتكون بيعة العقبة الأولى ثم الثانية لتتحوّل بعد ذلك الدعوة المحمديّة إلى مرحلة جديدة في كل شيء وهي (المرحلة العالميّة) والتي هي الدعوة في صورتها النهائية والأخيرة لتكون رحمة للعالمين على منهج الرحمة المهداة ﷺ[2].

وقد بينت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مراعاة القرآن الكريم للأولويات، والحكمة من ذلك، حيث قالت فيما أخرجه البخاري عنها: "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: "لا تشربوا الخمر"، لقالوا: "لا ندع الخمر أبداً"، ولو نزل: "لا تزنوا"، لقالوا: "لا ندع الزنا أبداً"[3].

ويدل على ذلك أيضا ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما فقال: "قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حيث بعثه إلى اليمن: « إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»[4].

قال ابن حجر رحمه الله: "بدأ بالأهم فالأهم، وذلك من التلطف في الخطاب، لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة[5].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ لا يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا"[6].

لقد تبين مما سبق وتجلى أن الرسول ﷺ كيف قام برعاية الأولويات الدعوية في حياته المباركة، فإن كل مرحلة من مراحل حياته الدعوية بمثابة أساس لما بعدها ومقدمة لما يليها، وكيف كانت أعماله تتسم بالتنظيم والترتيب والتنسيق في جميع المراحل من اختيار الإظهار والسرية وفي اختيار الأفراد وفي اختيار الأماكن والأوقات وغيرها من المظاهر.

المبحث الثالث: معالم وضوابط تتعلق بالأولويات الدعوية للعمل في أوساط الطلاب الجامعيين في باكستان

إن العمل الدعوي وتربية الشباب الجامعي وتحصينه من الانحراف الفكري يقتضي الاهتمام الزائد بهذه الفئة والمؤهلات العلمية والفكرية والثقافية، فمما يتعلق بالدعوة في أوساط الطلاب الجامعي من ضوابط فهي كما يلي:

1. الاهتمام بالباطن أولى من الظاهر

(1) راجع للتوسيع دراسة خاصة في هذا الموضوع: دعوة الأقربين والاحتساب عليهم في الكتاب والسنة، إعداد: عبدالمحسن بن عثمان بن محمد الباز، رسالة دكتوراه غير منشورة، تخصص الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض-السعودية، العام: 2005م

(2) فقه الأولويات الدعوية، الشنقيطي، ص/174

(3) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن، رقم الحديث: 4993

(4) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، رقم الحديث: 1496

(5) فتح الباري، ابن حجر، 359/3

(6) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: العلم، باب: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، رقم الحديث: 68

الإسلام يجمع بين الاهتمام بالظاهر والباطن والتلازم بينهما أمر مقرر، فلا يتصور وجود الإيمان في القلب بدون الأعمال الظاهرة، إلا أنه يقدم الباطن على الظاهر فيدعو لإصلاح الأول قبل الأخير، كما يدل عليه حديث القلب؛ لأنه من صلح باطنه صلح ظاهره، وليس معنى ذلك أن المظهر لا وزن له، فإن الاهتمام بالظهر إذا كان في إطار مشروع ولم يطغ على التصرف الجوهري يكون مطلوباً ومعتبراً بل واجباً أحياناً، لكنه ينبغي أن يدرك الداعية أنه يبقى في الرتبة الثانية[1].

ولذلك جعلت أعمال القلوب مقدمة على أعمال الجوارح، والنية والإخلاص فيها أساس لأعمال وشرط لقبولها، وورد ذلك في أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، فعلى الداعية أن يراعي هذه الأولوية خاصة في هذا الزمن الذي يبالغ فيه الاهتمام بالمظهر والشكل دون الباطن.

2. الاهتمام بالحياة الأخروية أولى من الاهتمام بالدنيا

الإسلام دين يتسم بصفة الوسطية، لا يدعو إلى الرهبانية والتخلي عن أشغال الدنيا ولا إلى الخوض فيه والإقبال عليه بكل جانبه، فإنه يقوم بالتوازن بين الحياة الدنيا والآخرة حيث ينظر إلى الحياة الدنيا على أنها ممر ومحطة للتزود منها للآخرة، وأنها فانية لا تساوي شيئاً في مقابل النعيم الأبدي في الدار الآخرة، وهي مزرعة الآخرة والطريق إليها، والآخرة هي الحياة الحقيقية ونعيمها هي الباقية.

فالمطلوب من الداعية أن يعطي الأولوية للحياة الأخروية وأن يأخذ من دنياه بقدر حاجته، وما يكون زاداً لآخرته، فإن "النصوص حين تتحدث عن الآخرة تدعو صراحة إلى المنافسة والمسارعة...وحين تتحدث عن الدنيا تدعو إلى عدم التكالب أو التنافس في طلب هذه الدنيا"[2]، فالممنوع فقط تقديم الدنيا على الآخرة وليس الممنوع تحصيل الدنيا واستعمالها للآخرة، ولا شك أن ترجيح الداعية الآخرة على الدنيا يحميه من الآفات ويعينه على القيام بالدعوة دون أي خوف وتردد.

3. الاهتمام بالمصادر الأصلية أولى من الرأي والاجتهاد

إن القرآن والسنة لهما الأولوية المطلقة في الشرع، فإن الدين قائم عليهما أصلاً ثم يأتي مرتبة الاجتهادات المعتبرة التي تكون في ضوء النصوص الشرعية مع عدم وجود نص صريح، وأما الهوى والرأي الشخصي والاجتهاد الغير معتبر فلا وزن لها في الدين، وإنما يدل على فساد وفوضى وانحراف في الدين، فإن المنهج الشرعي الذي كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين تقديم النص على الرأي ولو كانوا مقتنعين به، فكانوا يدركون خطورة تقديم الرأي على النص، فكم من الصحابة والتابعين ثبت عنهم رجوعهم عن آرائهم واجتهاداتهم لما ظهر لهم نص يخالف رأيهم[3].

وهذا لا يعني أن الرأي والاجتهاد المعتبر لا عبرة بها، فلقد وردت آثار كثيرة تسمح بالاجتهاد المبني على الأصول المعبرة لدى أهل العلم من السلف الصالح، فالمذموم هو الرأي المجرد بدون أي دليل الذي هو خرص وتخمين، وأما الرأي والاجتهاد المستند إلى الاستنباط من النص خاصة إذا لم يوجد النص صراحة في المسألة فهو معتبر وعين فقه[4].

---

(1) فقه الأولويات، الوكيلي، ص/72

(2) آفات على الطريق، ص/461، الدكتور السيد محمد نوح، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة-مصر، الطبعة الأولى: طبعة جديدة منقحة فريد، 2012م

(3) عن سالم بن عبد الله، أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى عن الطيب قبل زيارة البيت وبعد الجمرة، فقالت عائشةُ رضي الله عنها: طيّبتُ رسولَ الله ﷺ بيديَّ لإحرامه، قبل أن يحرم، ولحلّه قبل أن يطوفَ بالبيت، يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى تعليقاً على مارواه سالم: (فترك سالم قول جده لروايتها، قائلا : وسنة رسول الله أحق أن تُتبع). أنظر: إعلام الموقعين، ابن القيم، 51/4

(4) إعلام الموقعين، ابن القيم، 154/2

4. الأخذ بالعزيمة أولى من تتبع الرخص

إن الدعوة إلى الله تعالى من أفضل الأعمال وأشرف الوظائف، والقائم بها يحمل ميراث الأنبياء ويمارس دورهم، وهي مسؤولية كبيرة تجعله أن يكون أحوط في تصرفاته وأفعاله، فلهذه المكانة العظيمة ما يناسب لغيره قد لا يكون لائقاً به، فتقتضي هذه المهمة منه أن يكون صاحب العزم والحزم والصبر والقوة دون تساهل وترخص، ولقد وصف الله سبحانه وتعالى أفضل الدعاة من الأنبياء والرسل بأنهم أولو العزم لحزمهم وعزمهم وثباتهم على الدعوة بدون تنازل أو تساهل.

العزيمة هي طريق الدعاة الصادقين المخلصين، فعلى الدعاة اليوم أن يكونوا قدوة لغيرهم في الأخذ بالعزائم، فإن إعمالهم وأفعالهم منظورة ويقتدى بها، وتحسب عليه وعلى دعوته، ففي العزيمة سد لكثير من ذرائع التهاون، وحياة الداعية الأول ﷺ خير قدوة ومثال لنا في الأخذ بالشدائد والعزائم من الأمور، وبعده أمثال أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قضية الردة وأحمد بن حنبل رحمه الله في قضية خلق القرآن حيث وقفا موقف الحزم والعزم والذي عم نفعه إلى يومنا هذا، يقول علي ابن المديني رحمه الله: "أعز الله الدين بالصديق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة"[1].

وأصبح الأمر أشد خطورة في أيامنا هذه التي تمر بها الدعوة بتحديات مختلفة، فاضطر معها بعض الدعاة إلى الترخص، وانتشر فيهم ظاهرة التسامح والتساهل، وتوسعت حتى حصل فيه من التجاوزات ما قد يوقع في المحذور.

5. التأني في الأمور أولى من الاستعجال فيها

الاستعجال طلب الشيء قبل أوانه، وخلق الإنسان من عجل كما وصفه الله سبحانه وتعالى به في قوله: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[2]، فإنه يكون من متقضى الشهوة ولذلك كان مذموماً[3]، وهذا لا يناقض مفهوم المسارعة إلى الخير التي أمر بها الله سبحانه وتعالى في نصوص كثيرة، وجاء ذكرها في سياق المدح، والفرق بينهما أن الاستعجال المحمود هو المسارعة والتسابق في أعمال البر والخير، والمذموم ما يكون في الأعمال التي تقتضي الروية والتأني والدراسة والتخطيط في الأعمال دون الولوج فيها بدون أي تفكير مسبق، ولكل منهما مقام يتبصر به الداعي البصير والحكيم.

وأولوية التأني في الأمور هي تطبيق فقه الأولويات في حياة الداعية فإنه بإدراكها يكون بصيراً، ويأخذ الأمور بكل جزم، ويقدرها بقدرها، ويبني تصرفاته على أصول محكمة لا على رغبات شخصية ونفسية تدفعه للإقدام الغير مدروس، وهذا التأني وعدم الاستعجال يمنع الداعية من التهور، فإنه لما يرى ما انتشر في المجتمع من المحرمات والمنكرات فربما يدفعه ذلك إلى التصرف المفاجئ والرد الفوري لكنه غالباً يقع بذلك في الزلل والخطل، فعليه أن يفكر بالتعمق ليدرك طبيعة القضية وكيفية التغيير وليصل إلى أنسب الحلول فيقْدم على الاحتساب وهو واثق الخطوات، فإن المرحلة المكيّة خير شاهد على ذلك حيث مكث ﷺ ثلاثة عشر عاماً يؤسس القاعدة الصلبة الراسخة المؤهلة لحمل البناء الضخم للإسلام عليها.

وينبغي أن لا يغفل الداعية عن التفريق بين التأني المحمود والتقاعس والتسويف المذموم، فلا يبعثنه التأني والتريث على التراخي في الأمور، فعليه أن يتسابق في أعمال الخير وفي إعداد البرامج والمشاريع الدعوية ولكن بدون عشوائية وبكل تخطيط.

---

(1) سير أعلام النبلاء، 196/11، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أشرف على تحقيقه: الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1985م

(2) سورة الأنبياء، الآية 37

(3) فيض القدير شرح الجامع الصغير، 277/3، زين الدين محمد، عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى 1356هـ

6. الاختلاط أولى من العزلة

لقد خلق الله الإنسان وقدر عليه أن يكون اجتماعياً بطبعه، والإسلام دين التواصل والتكاتف، لا يتم الكثير من العبادات والأحكام في الشريعة الإسلامية إلا في صورة جماعية، كالصلاة والحج وغيرهما، وأول مجتمع في الإسلام قام بنيانه على العلاقات الأخوية بين الأفراد في المدينة المنورة حين قدم إليها الرسول ﷺ بعد الهجرة، والإسلام يدعو إلى كل عمل يحقق الترابط بين أفراد المجتمع من صلة الرحم والعيادة ورد السلام واتباع الجنائز ويحذر من كل ما يعكر صفو تلك العلاقات من تباغض وتحاسد وغيرهما.

ولذلك فإن الأولوية الدعوية في هذا الباب هي الاختلاط بالناس ومتابعة شؤونهم وخلق العلاقة المباشرة والمستمرة بهم، وهذا هو الأصل في حياة الداعية ومن لوازم عمله الدعوي، فلا يتصور الدعوة بدونها، وأصبح وجوبه أشد في زماننا من أي زمان مضى[1]، وكان منهج الرسول ﷺ التواصل مع الناس والخلطة بهم، وكان يتفقد أصحابه ويجالسهم ويمشي معهم لقضاء حاجاتهم، حتى كان يخالط مع غير المسلمين ويعين محتاجهم ويتصدق عليهم.

وأما النصوص الشرعية التي تحث على العزلة فلا تحمل على إطلاقها، بل تحمل على الاعتزال في زمن الفتن أو فيمن لا يسلم الناس منه، ولا يصبر عليهم، أو نحو ذلك من الخصوص، فالخلطة هي الأصل ومقدمة على العزلة، والعزلة أمر طارئ ولا تكون إلا في وقت معين أو لإنسان معين ولظرف معين[2].

7. التيسير أولى من التعسير

الإسلام دين اليسر والتيسير، تؤكده أحكامه وشرائعه، ولها مظاهر وأدلة لا تحصى في الكتاب والسنة، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفاً﴾[4]، وقام عليه منهج النبي ﷺ في دعوته فإنه: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ»[5].

وليس المقصود بالتيسير في الدعوة التنازل عن الواجبات وتتبع الرخص، والفرق بين الأخذ بالأيسر وتتبع الرخص واضح على الداعية، فإن الأول مشروع والآخر ممنوع، خاصة إذا جعل أحد تتبع الرخص عادته وديدنه في مسائل الخلاف[6]، وإن هذا التيسير يتعلق بالمدعوين وعامة الناس، وأما الدعاة فالأولى بحقهم الأخذ بالعزائم ولو فيها نوع من التعسير وهو الأوفق في إعداد الداعية وتكوينه، فإن الداعية البصير يقدم التيسير على التعسير في تعامله مع المدعوين بقصد الترغيب والتأثير والتدرج بأحوالهم؛ "لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلا حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته غالبا الازدياد بخلاف ضده"[7]، ولما يرى الداعي أن الإيمان دخل في قلوب المدعوين وتهيأوا لتحمل المشقة فيقرر ما الأصلح لكل واحد منهم.

---

(1) أصول الدعوة، ص/365، الدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة 2002م

(2) راجع للتفصيل في هذه المسألة: العزلة والخلطة، أحكام وأحوال، الدكتور سلمان بن فهد العودة، مع تقديم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار ابن الجوزي، الدمام-السعودية، الطبعة الأولى 1993م؛ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 34/13، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية 1392هـ، آفات على الطريق، ص/59

(3) سورة البقرة، الآية 185

(4) سورة النساء، الآية 28

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، رقم الحديث: 3560

(6) راجع: مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، ص/271، الإمام الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1998م؛ جامع بيان العلم وفضله، 927/2، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، تحقيق: أبو الإشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى 1994م

(7) فتح الباري، ابن حجر، 163/1

8. المداراة أولى من المواجهة

المداراة هي ملاينة الناس وحسن صحبتهم واحتمالهم لئلا ينفروا عن الداعي[1]، أو هي التلطف بالمخطئ وعدم مفاجأته بالحكم عليه وتأخير البيان من أجل التغيير انتظار فرصة أفضل[2].

إن الداعية في حياته يتعرض أنواعاً من المدعوين، فإنه في بعض الحالات يجد نوعاً خاصاً من المدعوين يرتكب معصية فيمهله، ويتحين فرصة تتيسر لهدايته، ويترك الإغلاظ عليه، فإن هذا النوع من التصرف أولى وأحسن من المواجهة والإنكار بالشدة والغلظة، بشرط أن لا يؤدي ذلك إلى قدح في الدين، وكذلك على الداعي أن ينكر على منكرها بالقلب، وإن تأخر الإنكار عليه بقوله وفعله، فإنه ينوي الإنكار في أقرب فرصة مناسبة له.

والمداراة ليست المداهنة وإن كانا يتشابهان في الظاهر إلا أن دافع كل منها مختلف جداً، فالأولى مشروعة وصفة مدح، والأخرى ممنوعة وصفة ذم، والفرق بينهما أن المداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه، حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه، والمداهنة معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه[3].

9. القريب أولى بحق الدعوة من البعيد

إن الأولوية في اختيار المدعوين أن يبدأ الداعي من الأقرب ثم القريب ثم البعيد ثم الأبعد، مع أن المقصود بالدعوة إلى الله أن تصل للجميع دون تفريق بين القريب والبعيد، والمطلوب من الدعاة نشرها في مختلف الأرجاء حتى تصل للجميع، لكن هناك تسلسل طبيعي ينبغي رعايته، لأن مسؤولية الإنسان تجاه الآخرين على درجات تتفاوت حسب القرب والبعد، وأقرب ما يكون إلى الإنسان نفسه، فإنه مسؤول عنها أولاً، ثم تكون مسؤوليته عن الآخرين، فينبغي عليه أن يبدأ بنفسه فيدعوها ويطهرها ويزكيها، فالذي لا يصلح حاله كيف يستطيع إصلاح الغير، ثم يبدأ بغيره من الأقارب ثم الأباعد.

وهذه الأولوية نجدها في منهج النبي ﷺ في الدعوة حيث بدأها في الخطوة الأولى بأقربه من أهله دون غيرهم من قومه، ثم في الخطوة الثانية وسع دائرة الدعوة فامتدت إلى بقية قرابته من عمومته وأبناء عشيرته من بني هاشم ثم بقية القوم، وهذا التأكيد على بدء الدعوة بالأقرب لا يعني إهمال البعيد، فإن الداعي ليجد أمامه أحوالاً تعسر فيها دعوة القريب[4]، فلا يقف مكتوف الأيدي بل يدعو من تيسرت له الدعوة.

10. الشباب أولى من الشيوخ

إن الداعية قد يضطر إلى اختيار فئة من فئات المدعوين لأسباب، فالأولوية إذن للجيل الناشئ وهم الشباب، فإن الرسول ﷺ وجه دعوته للجميع، الكبار والصغار والرجال والنساء والأطفال، لكنه أولى عنايته بالشباب، فكانوا أسرع الناس استجابة لدعوته، فآمنوا به، وحملوا الرسالة المحمدية بكل جد، فما وهنت عزائمهم، وتعرضوا كل أنواع الأذى والتعذيب، فبذلوا من أجل الإسلام أثمن ما في حياتهم أرواحهم الزكية، "وأما مشائخ قريش فعامتهم بقُوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل"[5].

---

(1) النهاية، ابن الأثير، 115/2

(2) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، عرعور، ص/241

(3) فتح الباري، ابن حجر، 529/10

(4) التدرج في دعوة النبي ﷺ، ص/152، إبراهيم بن عبد الله المطلق، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الرياض-السعودية، الطبعة الأولى 1417هـ

(5) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 140/5

إن العقل والواقع يؤكدان هذه الأولوية حيث إن الشباب هم أكثر ضبطاً واستيعاباً من غيرهم، ولم يصلب عودهم وتتحجر أفكارهم وهم أرض خصبة، وأما الكبير فقد يكلف الداعية من الجهد والوقت ما لو صرفه في الشباب لاستجاب له منهم عدد كبير.

يقول الدكتور همام عبد الرحيم سعيد مبيّناً أهمية تقديم الشباب في الدعوة: "وليبدأ بالصغير قبل الكبير، وذلك لأنّ الصغير لم يصلب عوده على فكرٍ معين أو سلوكٍ معين، والتعامل معه أسهل من التعامل مع الكبير الذي اختار طريقه، وكثرت ارتباطاته ومسؤولياته"[1].

11. أهل الفضل والتأثير أولى من غيرهم

إن في استهداف أهل الفضل والمكانة والتأثير والقادة وأصحاب القرار والنفوذ للدعوة حكمة عظيمة، فإنهم شخصيات يلتف حولهم الناس، ولهم تأثير فيهم، وإنهم بمثابة أبواب لاستجابة من خلفهم يدخلون وراءهم في الإسلام، ولا شك أن جميع البشر باعتبارهم المدعو سواء في الإسلام، والدعوة الإسلامية دعوة للجميع دون تفريق بين خاصة القوم وعامتهم، ولا يعني تقديم الأشراف إهمال الغير، لكن الله جعل الناس على مراتب وأمر إنزالهم منازلهم، وإن في إسلامهم نصرة للدين وتأثير على الآخرين، وهناك مصحلة أخرى لصالح الأتباع العامة وهي أن لإسلام سادتهم يأمنون من تنكيلهم وتعذيبهم كما حصل لضعفاء المسلمين مع زعماء قريش في مكة.

والأولوية الدعوية بهذا الجانب في منهج النبي ﷺ أنه كان يخص أصحاب التأثير ويحرص عليهم أكثر من غيرهم، فإنه ﷺ لما وصل إلى المدينة ورأى مكانة اليهود فيها قرر هذه الأولوية فقال ﷺ: «لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ اليَهُودِ، لآمَنَ بِي اليَهُودُ»[2]، وكان سبب اهتمامه بهؤلاء أنهم كانوا حينئذ رؤساء اليهود ومن عداهم كان تبعاً لهم[3].

وعلى هذا المنهج سار أصحابه، كما فعل مصعب بن عمير رضي الله عنه لما أرسله إلى المدينة فبدأ بالتواصل مع القادة والسادة وأشراف القوم، لأن في استجابتهم استجابة لخلق كثير ممن يتبعونهم، فلما أسلم أسيد بن حضير رضي الله عنه قال لمصعب وأسعد بن زرارة رضي الله عنهما: "إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ"[4].

ولا بد للأستاذ في قاعة الدراسة أن يبحث طلاباً –وهم يوجدون- بارزين بين أقرانهم في أمور، يتبعهم البقية ولهم تأثير فيهم، فعلى الأستاذ أن يؤثر في نفوس عامة الطلاب عن طريق هؤلاء البارزين.

12. الإنكار بالقلب أولى باللسان وهو أولى من التغيير باليد

لقد ذكر العلماء في ضوء حديث الإنكار على المنكر درجات الإنكار، تبدأ بالأخف إلى الأغلظ، وهي كما يلي:

1- التعرف على المنكر وإنكاره بالقلب، حيث يجب أن يعرف الداعية المنكر وماهيته وما يلحق به من أحوال، ثم عليه أن ينكره بقلبه ويكرهه، فلا مناص لأحد من العامة والخاصة من هذا الإنكار، فإنه يرى بعده لو يستطيع أن ينكر بلسانه ينتقل إليه، فهي المرتبة الأولى من مراتب الإنكار الثلاثة المذكورة في الحديث النبوي الشريف.

2- تعريف المنكر، وهي الدرجة الأولى لمرتبة الإنكار باللسان بعد أن يمتلئ قلب الداعية بكراهية المنكر، فيبدأ بالقول والبيان، لأن هناك من يرتكب المنكر وهو لا يعرفه أنه منكر، فيلزم الداعية تعريف صاحب المنكر بالحكم

(1) قواعد الدعوة إلى الله، ص/88، الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، دار الوفاء مصر، الطبعة الثالثة 1412هـ

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: مناقب الأنصار، باب: إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة، رقم الحديث: 3941

(3) فتح الباري، ابن حجر، 275/7

(4) السيرة النبوية، ابن هشام، 436/1

الشرعي للمنكر بكل لطف ورفق.

3- الوعظ والتخوف، وهي درجة ثانية، ويكون ذلك بعدما يعرف الداعية صاحب المنكر بالمنكر لكنه بعد معرفته يصر عليه، فيجب أن يوعظ ويخوف بالله تعالى باللطف والشفقة من غير غضب وعنف.

4- الغلظة في القول، عندما يرى الداعية أن صاحب المنكر لا يكف عن المنكر ويسترسل في غيه، بل وإنه مع إصراره يستهزئ بوعظه.

5- التهديد والتخويف، وهي الدرجة الأخيرة للإنكار باللسان ويعقبها الإنكار باليد.

6- الإنكار باليد، وهذا أصلا تغيير المنكر، وذلك يكون إما بإتلاف أدوات المنكر وإما بالمنع بالقوة أو بالضرب باليد أو بالسلاح أو غير ذلك[1].

والإنكار باليد لا يكون إلا لمن يكون صاحب سلطة رسمية من الحاكم أو نوابه ووكلاءه، فلهم التغيير بأيديهم أو بأيدي جنودهم، وكذلك من له بإذن الإمام أو الحاكم سلطة ولاية كمدير مدرسة أو مؤسسة أو غير ذلك، وكذلك كل ذي رعاية عامة أو خاصة في أسرته فله حق الإنكار باليد إذا فعله بعض من له عليهم حق الرعاية شرعاً داخل أسرته[2].

وأما استعمال القوة لإنكار المنكر وإزالته لعامة الناس ففيه خلاف بين العلماء على مذاهب، فلا يمكن الحكم على جوازه أو عدمه على الإطلاق، وجوزه المجوزون بشروط[3]، فلا ينبغي للعامة الإنكار باليد خاصة بوجود سلطة أو جهة رسمية يتولى أمر الحسبة.

وبعد هذا التفصيل في القضية فإن الأولوية في هذا الباب أن يراعي الداعية مراتب الإنكار بدأً بالأخف، فينبغي أن يبدأ بقلبه ثم باللسان بالقول الحسن وبالرفق قبل الزجر والإغلاظ، ربما قد يضطر إلى التقديم والتأخير في في هذا الترتيب بما تقتضيه الحكمة الدعوية فهذا على اجتهاده وبصيرته.

13. الستر أولى من التشهير

لقد نهى الإسلام عن التجسس والتحسس في نصوص كثيرة وردت في القرآن والحديث، وفي مجال الإنكار لقد صرح العلماء بعدم جواز التجسس والتحسس لكشف المنكرات المخفية بغرض إنكارها[4]، فالإنكار يكون على ما ظهر منها فقط دون ما ستر منه، فمن الأولويات الدعوية في إنكار المنكر أن يستر الداعية على صاحب المنكر خاصة إذا كان ممن تخفى به ولم يعلنه ويجاهر به وغير مصر على المنكر، ففي الستر عليهم مصلحة دعوية كبيرة للمدعو؛ فإنه أرجى أن يتوب ويجتنب المنكر، كما أن فضحه وكشفه قد يجرؤه على مواصلة المنكر وفيه نوع من الترويج للمنكرات مما يشيع الفاحشة بين الناس.

14. التلميح أولى من التصريح

إن الداعية ليقف أمام مواقف مختلفة، يتعرض لأخطاء المدعوين وتجاوزاتهم، فيحتاج إلى فقه دقيق في الاختيار بين أسلوبي التلميح والتصريح، نظراً إلى طبيعة المدعو وحجم الخطأ أو مناسبة المكان وغير ذلك، مع أن الأسلوبين كليهما مشروعان ووردت نصوص تصرح باستخدامهما إلا أن الأولوية في هذا الباب تقديم التلميح على التصرح في الإصلاح؛ لأن

(1) راجع أيضاً: فقه الأولويات الدعوية، الشنقيطي، ص/577؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة، ص/113، سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، دار الشبل، الرياض-السعودية، الطبعة الرابعة، 1996م؛ فقه الدعوة في إنكار المنكر، البلالي، ص/67

(2) فقه الدعوة إلى الله، الميداني، 2/242-243

(3) المرجع السابق، الميداني، 2/239؛ فقه الدعوة في إنكار المنكر، البلالي، ص/57

(4) المرجع السابق، البلالي، ص/96

المقصود إصلاح النفوس وتصحيح الموقف ولو حصل ذلك بأخف المتاعب فإن الأولى استخدامه.

يقول الإمام الغزالي: "من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن، ولا يصرح ، وبطريق الرحمة، لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيئة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار"[1].

والتلميح أقل ضرراً من التصريح، وهو نوع من المداراة المشروعة، كما أن التوجيه بالتعريض دون التصريح مما تتقبله النفوس ولا تنفر منه، ومن النصوص التي توكد هذه الأولوية ويقررها تعامل النبي ﷺ مع المدعوين المخطئين بالتعريض وعدم التصريح بهم في قوله ﷺ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ»[2] ونحوها من كلمات التلميح في نصوص كثيرة.

15. الترغيب أولى من الترهيب

إن الإنسان مفطور على حب ما ينفعه وتطمئن به نفسه وينفر من كل ما يخفيه ويفزعه، فإن للترغيب والترهيب أهمية كبيرة في الدعوة، فالداعية البصير بحكمته يقوم بالتوازن بينهما، ويعرف متى يناسب الترغيب ومتى يناسب الترهيب وكيف يتحقق الاعتدال في استخدامهما، فالأولوية فيه أن يبدأ بالترغيب قبل الترهيب؛ فإن الترغيب فيه نوع من التيسير وفي الترهيب غالباً نوع من التعسير، والتيسير مقدم على التعسير، كما أن الترغيب يفتح باب الرجاء وهو مقدم على الخوف، فعلى الداعية أن يبدأ بترغيب المدعو في الالتزام بالدين والتمسك به وبيان ما أعد الله للمستجيبين من نعيم، قبل أن يرهبه من عدم الالتزام بالدين وخطورة الإعراض عنه[3].

16. العلم أولى من العمل

مرتبة العلم سابقة من العمل في الإسلام وهو طريق إلى العمل ودليل عليه، وجاءت نصوص كثيرة تؤكد ذلك، ومنها قول الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[4]، "فإن العلم إمام العمل وقائد له، والعمل تابع له ومؤتم به، فكل عمل لا يكون خلف العلم مقتديا به فهو غير نافع لصاحبه، بل مضرة عليه"[5]، فبمقتضى هذه الأولوية الدعوية ينبغي للداعية أن يكون عالماً بما يدعو إليه، فلا يجوز له أن يدعو وهو جاهل.

17. التخطيط أولى من العشوائية

إن الفوضوية والعشوائية في العمل الدعوي أمر لا يحمد عقباه، ومن الأخذ بالأسباب المطلوب شرعاً أن يعمل الداعية عمله على أسس وخطط محكمة، فلا يستغني الداعية اليوم من التخطيط في الدعوة، فعليه "أن يدرس البيئة التي يعمل فيها دراسة علمية متأنية حكيمة، يتعرف منها على علل البيئة التي درسها والأمراض، فيشخصها، ثم يفكر في أسلوب العمل تفكيراً علمياً لا سطحياً"[6]، خاصة في العصر الحاضر الذي يؤسس فيه كل شيء على العلم، ولم يعد يقبل الغوغائية والعشوائية في أمر من أمور الحياة، فضلاً عن الدعوة إلى الله تعالى، فإن التخطيط في الدعوة يحقق الاستقرار له، حيث يراعي الماضي ويعايش الحاضر، ويستشرف المستقبل، وهو من صميم الإعداد الذي أمره الله به في قوله تعالى:

---

(1) إحياء علوم الدين، الغزالي، 57/1

(2) كما أخرجه البخاري في الصحيح قوله ﷺ: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»، كتاب: الأدب، باب: من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم الحديث: 6101

(3) فقه الأولويات الدعوية، الشنقيطي، ص/591

(4) سورة محمد، الآية 19

(5) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، 227/1، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1432هـ

(6) الدعوة: قواعد وأصول، ص/72، جمعة أمين عبد العزيز، دار الدعوة، الإسكندرية-مصر، الطبعة الثانية 1409هـ

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾[1]، كما أن هذه الأولوية قائمة على المنهج النبوي ﷺ الرصين.

الخاتمة:

لقد توصل الباحثان خلال هذا البحث إلى النتائج التالية:

- إن الدعوة إلى الله تعالى من الأمور العظام وتحتاج إلى فقه دقيق وفهم ثاقب ليعرف الداعية ما وبم وكيف ومتى يدعو، وهذا العلم يعرف بفقه الواقع وفقه الأولويات الدعوية.
- يجب على الداعية ليتعاطى مع متغيرات العصر الحاضر أن يدرك أهمية فقه الأولويات وأن يتعلمه ويتبصر فيه ليقوم بعمله الدعوي بطريقة أفضل وبأقل جهد وأكبر عائد.
- إن فقه الأولويات علم له جذور في تاريخ الدعوة الإسلامية، في سيرة الرسول ﷺ وفي كتب العلماء والدعاة والفقهاء.
- إن لغياب الاهتمام بهذا الفقه آثار سلبية على الدعوة في العصر الحاضر، من ضعف الرسالة الدعوية وفقدان الموازين والاستغراق بالجزئيات وفي القضايا الهامشية وغيرها.
- إن فئة الطلاب والشباب الجامعيين من الفئات الأكثر عرضة للتحديات المعاصرة، فينبغي على الدعاة والأساتذة الجامعيين العمل على التخطيط الدقيق القائم على الأولويات حسب مستواهم الفكري والاجتماعي والثقافي لتحصينهم من تأثيرات التحديات السلبية.

(1) سورة الأنفال، الآية 60